مقـدمة

راودتني فكرة هذا الكتاب بمناسبة العيد الخمسيني لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية (١٩٦٠-٢٠١٠)، وكنت أهدف لأن يسجل تجربة الحياة الجامعية لأبناء الدفعات الأولى من الكلية. وبعد مجهود امتد لما يقرب من السنة من التواصل مع الزملاء الخريجين، بطريقة مباشرة أو عن طريق البريد الإليكتروني، ومن استعادة الذاكرة الجماعية في لقاءات وندوات، خرجت صورة مجتمعة الملامح ليس فقط لكلية فريدة من نوعها، صاغها أساتذة رواد ذوي همة وطلبة نابهون متلهفون ووطن مليء بالخير والأمل، ولكن أيضا للمجتمع المصري فى الستينيات من القرن العشرين بما حواه من مشروع للنهضة، وتجربة اجتماعية وسياسية فذة مليئة بالطموح والتحديات، بالبراءة والمؤامرات، وبالأمل والإحباط.

ووجدت أن الأفكار والذكريات التي يحويها الكتاب، على الرغم مما تتمتع به الكلية من خصوصية وتفرد، تعبر عن عصر كامل كادت ملامحه تندثر وذاكرته تنمحي في خضم مجتمع صاخب يمسك بتلابيب الحداثة والعولمة، أو يقع أسيرًا لها. ولا يكاد يهدأ له بال إلا إذا هدم القديم جميعه بخيره وشره. كما لو أن بينه وبين الماضي خصومة، ويريد أن يتخلص منه.

وهكذا كانت دراسة تجربة السنوات الأولى لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية مثل العدسة المكبرة التي تكشف الحياة السياسية والاجتماعية والجامعية في مصر الستينيات.

أردنا أن يكون هذا الكتاب معبرًا ليس فقط عن كلية الاقتصاد ومسيرة تطورها عبر السنين، ولكن أردنا أيضًا أن نتابع دورها في خدمة المجتمع من خلال خريجيها. فالخريج

هو الناتج الحي والحقيقي الملموس الذي تصدره الكلية، وكلما كان نافعًا، ومهيئًا لخدمة وطنه ونفسه، نجحت الكلية في تحقيق الهدف من إنشائها.

ويتصف خريجو كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بإحساس عالٍ بالانتماء، نتج عن الأعداد الصغيرة نسبيًّا للخريجين، والتميز المتواصل للكلية بصفتها من كليات القمة لذوى المراكز المتقدمة في الثانوية العامة. كذلك فإن قرب الطلبة إلى الأساتذة وما يبدونه من جهد في إرشادهم والاهتمام بهم، جعل الطلبة يشعرون دائمًا بالحنين إلى أيام الدراسة، ويجدون الدفء والمودة في التواصل مع زملائهم القدامى.

وعلى ذلك، نمت للخريجين، وبالذات في الدفعات الأولى، ذاكرة جماعية متجانسة نسبيًّا رغم تعدد ألوانها. فهناك اتفاق شبه عام بشأن الانطباعات عن عدد كبير من الأساتذة الذين كانوا أكثر تأثيرًا، وأكثر استعدادًا لمساعدة الطلبة، وهناك حوادث معينة أثرت في الجميع، وهناك مفارقات وصفات متفق عليها تنسب إلى بعض الطلبة أو الأساتذة المعاصرين.

ولوجود هذه "الثقافة المشتركة"، كان من السهل على المؤلف، الذي ارتبط بالكلية كطالب ومعيد وباحث منذ العام الثاني لإنشائها، أن يجمع انطباعات الخريجين وذكرياتهم عن كليتهم. وقد استعان في ذلك ليس فقط باتصالات مباشرة مع العشرات منهم عبر السنين، ولكنه استخدم أيضا، وفي سبيل إعداد هذا الكتاب بشكل موضوعي وشامل، استبيانا بغرض جمع البيانات عن الخريج ومسيرته العلمية والوظيفية، وانطباعاته عن الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية أثناء دراسته في الكلية، و تحديد الأساتذة الذين أثروا في حياته العلمية والمهنية، إلى جانب التعرف على أهم المواقف والأحداث المحورية التي مر بها الخريج وكذلك أهم وإنجازاته العلمية والمهنية، ومدى مساهمة الكلية في الإعداد لها، فضلا عن ملامح علاقته الحالية مع بقية الخريجين.

ولقد حرص الباحث على اختبار الآراء التي جمعت في لقاء جماعي، ضم عددًا كبيرًا من الخريجين بأحد نوادي مصر الجديدة يوم ١٥/ ١/ ٢٠١٠، وحدث حوار مفتوح عن الكلية وذكريات الخريجين عنها.

كذلك تم تجميع ذكريات إضافية خلال رحلات نظمتها جمعية الخريجين إلى مدينة الإسماعيلية وشبين الكوم والعين السخنة في الفترة من أكتوبر ٢٠٠٩ إلى يناير ٢٠١٠.

هذا .. وقد حرص المؤلف على أن يستمع إلى جميع الخريجين، وأعطى وزنًا واحدًا للجميع بغض النظر عن الموقع الإداري والعلمي. فلكل خريج قصة تستحق أن تروى. وكانت هناك بالطبع حدودٌ للعدد الذي يستطيع أن يتواصل معه. وكان من الطبيعي أن يعطي وزنًا أكبر لأعضاء الدفعات الأولى الذي يهتم هذا الكتاب بهم. وساهمت صداقته ومعرفته بالكثيرين منهم، والتصاقه بشئون الكلية منذ أيام الدراسة عام ١٩٦١، فى تسهيل مهمته. ولما كانت العملية التعليمية تشمل الطالب والأستاذ، فقد رأى المؤلف أن يستكمل الصورة عن طريق الحوار مع عدد من أساتذة الجيل الثاني من أساتذة الكلية وبعضهم لحق السنوات الأولى من نشأتها ومنهم الأساتذة الأفاضل عبد الملك عوده، رياض الشيخ، نادية مكاري، محمود إسماعيل، وعبد الحميد الغزالي.

مع ذلك، فالرؤية التي تقدم في هذا الكتاب هي بالضرورة رؤية شخصية وانتقائية رغم محاولتي لاتباع أقصى درجات الشمولية والموضوعية. وقد يجد البعض أنني أغفلت بعض الأمور، وفسرت أمورًا أخرى بطريقة قد لا تتفق مع رؤاهم. ولذا أرجو منهم أن يلتمسوا العذر لان مهنة التأليف، بالضرورة جهد ذاتي يحتمل الصواب أو الخطأ.

وأود في النهاية أن أشكر كل الزملاء الذين ساعدوا في إعداد هذا العمل، وفي تقديم مواد وصور، وأود بالذات أن أشكر الأصدقاء، د. نادية مكاري التي تفضلت بمراجعة الفصل الثاني الخاص بنشأة الكلية وتطورها وأبدت ملاحظات قيمة أفادت فى أجزاء أخرى من الكتاب؛ والأستاذ عادل جاب الله الذي تابع هذا العمل منذ بدايته، وشجعني على استكماله في لحظات من القنوط؛ ود. نبيل الخرزاتي، رحمه الله، الذي أعطاني في شهوره

الأخيرة الكثير من الأمل في الروح الإنسانية ومدني بالكثير من الصور؛ وكذلك العشرات من الزملاء الذين شاركوني تجاربهم وانطباعاتهم عن حياة الكلية في سنواتها الأولى. وأيضًا أود أن أشكر الإعلاميين سالمة حسين، وأحمد الضبع، على ملاحظاتهما على بعض أجزاء الكتاب، وما أبدياه من مقترحات حول إخراجه؛ والآنسة سارة على، المعيدة بقسم الإحصاء بالكلية، التي تطوعت بتجميع بعض البيانات عن مسيرة الكلية وصاغتها في شكل رسوم بيانية وجداول.

وفي النهاية إذ أشكر كل من ساعدني على تقديم هذه الهدية لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية وخريجيها بمناسبة اليوبيل الذهبي، أعبر عن حمدي وشكري للمولى عز وجل الذي وفقني إلى استكمال هذا العمل، لعله يكون إضافة إلى ذاكرة الوطن، ومثالاً للحظة مضيئة من تاريخه.

د. علي عبد العزيز سليمان
وكيل أول وزارة الاقتصاد والتعاون الدولي (السابق)
عضو الجمعية التاريخية المصرية.
٦ أغسطس ٢٠١٠
alisoliman@yahoo.com

obeikandl.com